الطبيعية ، باستثناء فلسطين ، رغم ان قياداتها السياسية بذلت جهودا مماثلة لجهود القيادات السياسية في الاقطار السورية الاخرى ، سواء فيما يتعلق بمراضاة الاستعمار الانجليزي ، أو بخصوص تقديم تنازلات للحركة الصهيونية، ولكن هذه الجهود ذهبت هباء ، وتحولت بمرور الوقت الى عبء اساسي على النضال الجماهيري والوطني ، واسهمت ، بهذا المعنى ، في ترجيح ميزان القوى لصالح القوى الصهيونية التي شرعت في التبلور فوق ارض فلسطين كسلطة بديلة للسلطة العربية المنشودة وبالتالي للدولة العربية المأمولة ٠

هذه المفارقة حكمت التاريخ العربي المعاصر لسوريا الطبيعية برمتها ٠ وقد تجلت في ابتعاد القوى « القومية » السابقة عن الطابع القومي العام لتحرير سوريا ، وفي استغراقها داخل اطرها الاقليمية الخاصة ، حيث بدا ان تكوين دولها الخاصة هو المهمة التاريخية الاساسية والاستراتيجية ، وليس ردع الخطر الصهيوني وابعاده ٠ ومع الوقت تحول تشكيل هذه الدول القطرية الى غاية بذاته ، وتم تصويره للجماهير على أنه مكسب « قومي » ووطني من الطراز الاول ، لان انجازه يعني الاستقلال الوطني ، وهذا مطمح كل انسان ومراد كل نفس ٠

باختصار : لقد تحولت مسألة استقلال فلسطين من احدى القضايا المركزية « للحركة » القومية قبل الحرب العالمية الاولى ، الى قضية فلسطينية محلية من اختصاص القيادة السياسية الفلسطينية ، وصارت مسألة « خارجية » و « هامشية » بالنسبة لقادة « الدول الوطنية » المتشكلة ، وخرجت من افق نضالهم عمليا ، لانهم تصوروا ان اشتراكهم في النضال الى جانب الشعب العربي الفلسطيني ، وضمن استراتيجية قومية عامة للنضال المعادي للاستعمار ، سيدمر تحالفهم مع القوتين الاستعماريتين ، وسيهدد مصير دولتهم الوطنية نفسها ، وسيدخلهم في معركة تستنفذ قواهم ، وتضعهم عمليا بين سندان الاستعمار ومطرقة الجماهير ، فآثروا تغطية موقفهم العملي هذا تغطية لفظية ، ظاهرها وطني وقومي ، وجوهرها ترك شعب فلسطين لمصيره ٠

هذا الموقف استمر عمليا منذ العشرينات وحتى اواخر الاربعينات ، حين تحرك قسم من القيادات السياسية الاقطاعية العربية لتقاسم فلسطين مع الصهيونية ، بحجة انقاذ ما يمكن انقاذه منها ٠ وكان تحركها هذا مؤشرا على انتقالها من طور السكوت على ضياع فلسطين ، الى الاشتراك النشط في حرمان شعبها من ايجاد اشكال خاصة به للتعبير السياسي ، كما كان دليلا على ان تكون الدولة القطرية اصبح يتطلب ، في ميزان القوى الجديد في المنطقة بعد الحرب العربية الاسرائيلية ، ضبط الطاقات النضالية لشعب فلسطين ، وكبتها